

حجاجية المجاز في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

عائشة جنان*

طالبة دكتوراه، قسم الأدب واللسانيات وتحليل الخطاب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي
إسماعيل، مكناس، المغرب

Argumentative Metaphor in The Letter of Forgiveness by Abu Ala Al-Maarri

Aicha Jennane*

PhD student, Department of Literature, Linguistics and Discourse Analysis, Faculty
of Letters and Human Sciences, University of Moulay Ismail, Meknes, Morocco

*Corresponding author

aicha.jennane@yahoo.fr

*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2023-04-27

تاريخ القبول: 2023-04-24

تاريخ الاستلام: 2023-03-28

المخلص

يحمل المجاز قدرة على التأثير في المتلقي، باعتباره أسلوباً بلاغياً، يتوسل به المحاجج للتعبير عن الأفكار والمعاني، وللوصول إلى المتلقي لتعديل موقفه، مخاطباً الوجدان، قصد تحقيق التأثير والاستمالة والإقناع. ونجد حضور هذا الأسلوب البلاغي بشكل واضح في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، التي تعد خطاباً إقناعياً بامتياز. وسنحاول تحليل هذا الخطاب، من خلال محاول الكشف عن مكامن حجاجية المجاز فيه، وبكلمة فإن هذا المقال العلمي مؤلف من محورين، المحور الأول هو العلاقة بين المجاز والحجاج، والمحور الثاني هو حجاجية المجاز في رسالة الغفران، وبنهاية البحث تم عرض خلاصة النتائج المقررة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، المجاز، رسالة الغفران، أبو العلاء المعري.

Abstract

The metaphor can influence the recipient, as it is a rhetorical method, which the arguments use to express ideas and meanings, and to reach the recipient to modify his attitude, addressing the conscience, in order to achieve influence, and persuasion. We find the rhetorical method clearly in the message of forgiveness by Abu Al-Ala Al-Maari, which is a persuasive discourse par excellence. And we will try to analyze this discourse, through an attempt to reveal the sources of the argumentative metaphor in it. In a word, this scientific article is composed of two axes, the first axis is the relationship between metaphor and pilgrims, and the second axis is the argumentation of metaphor in the message of forgiveness, and at the end of the research a summary of the established results was presented.

Keywords: argumentation, metaphor Forgiveness letter, Abu Al-Ala Al-Maari.

مقدمة:

يعد المجاز من أعظم المباحث البلاغية في تراثنا العربي. حيث حظي باهتمام كبير من طرف القدماء والمحدثين، لما له من القدرة على التأثير في المتلقي، بفعل الطاقة التي يملكها في تبليغ المعاني، من خلال نقل المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ليجمع بذلك بين جمال الصورة، وقوة الإقناع. الشيء

الذي يجعل المجاز من الأساليب البلاغية الأكثر حجاجية، تدفع بالمتلقي إلى التسليم والإذعان في جميع أنواع الخطاب، لكونه نمطا من التعبير له القدرة الكبيرة، والفعالية المؤثرة في إقناع المتلقي، واستمالاته، وتوجيهه، وجعله يذعن للخطاب الموجه إليه. ونرى أنه من الضروري، في هذا السياق، تطعيم الحجاج البلاغي العربي، بما ذهب إليه البلاغيون الغربيون، وبخاصة "بيرلمان" و"تيتيكا" في مصنفهما الحجاجي¹. إلى جانب ميشال مايير من خلال نظرية المساءلة التي يدافع فيها بدروه عن الإمكانيات الهائلة من التأويل التي يتيحها المجاز للمتلقي، محققا بعده الحجاجي.

وسنحاول من خلال هذا البحث رصد حجاجية المجاز في الخطاب النثري، من خلال رسالة الغفران لأبي العلاء المعري²، باعتبارها من نصوص النثر الفني التي تزخر بالعديد من الإمكانيات اللغوية والبلاغية.

إذن، إلى أي مدى يمكن للبلاغة ممثلة في المجاز تحقيق البعد الحجاجي للخطاب؟ هل يكفي المجاز ببناء لغة منمقة جميلة فقط؟ أم ينطوي على مقصد حجاجي، يعادل الطاقة الحجاجية الكامنة في الخطابات البرهانية؟

أولا: العلاقة بين المجاز والحجاج

قبل الحديث عن العلاقة بين المجاز والحجاج في الدراسات العربية والدراسات الغربية نقف بداية عند تعريف مصطلحي الحجاج والمجاز:

• مصطلح الحجاج:

عرّف ابن منظور الحجاج بقوله: " الحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل. والتجاج التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة وحجه يحجه حجا غلبه في حجته وفي الحديث: فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة، والحجة دليل وبرهان يقال حاجته فأنا محاجّ وحجيج فعيل بمعنى فاعل ومنه معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أي أغلبه بالحجة"³.

أما في الاصطلاح: فالحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية تتم بين المتكلم والمستمع حول قضية ما، حيث يدعّم هذا المتكلم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير. وعرّف طه عبد الرحمن الحجاج على أنه " كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"⁴ معتبرا بأن هدف الحجاج هو الإقناع من خلال مجموعة من الصور الاستدلالية.

• مصطلح المجاز:

يتضمن المجاز في حقل اللّغة والاصطلاح عدة معان، ونجد في مجال اللّغة: جوز كلّ شيء: وسطه والجمع أجواز. وجزت الشيء أجوزه جوزا إذا قطعته. وقال بعض أهل اللّغة: من هذا اشتقاق الجوزاء، لأنها تعترض جوز السماء: أي وسطها. فأما الجوز المعروف ففارسي معرب⁵.

¹ Chaim Perlman et Lucie Olbrecht Tyteca (1988) :Traité de l'argumentation, ed de l'université de Bruxelles,5^{ème} ed, imprimé en Belgique.

² ولد أبو العلاء المعري سنة 363هـ، أنظر ترجمته: الحموي، ياقوت، (1993): معجم الأديباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ص 295.

³ ابن منظور (1990): لسان العرب، مج 2، دار صادر، ط1، ص228.

⁴ عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص226.

⁵ ين دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسين (1987): جمهرة اللّغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ص473.

أما في الاصطلاح فالمجاز هو نقل اللفظ من معناه الأصلي، واستعماله ليدلّ على معنى غيره، مناسب له. أو هو " اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، والعلاقة: هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي "6.

ولا بد من التنبيه إلى أن علماء البلاغة قسموا المجاز إلى مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى (العقلي).

أما المجاز اللغوي فهو يتعلّق باللفظ المستعمل في غير ما وضع له في أصل اللغة، حيث يقول الجرجاني: " اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، فكان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأنه أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة، وأوقعها على غير ذلك، إما تشبيهاً، وإما أصلة وملاسة بين ما نقلنا إليه وما نقلها عنه"7.

أما المجاز العقلي فيستند إلى العقل دون الوضع بمعنى أنه إسناد كلمة إلى أختها لتبليغ المقاصد والأغراض، وهذا شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة. وقد ذكر السكاكي أن المجاز العقلي عند علماء البلاغة هو " الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم لضرب من التأويل"8.

1. حاجية المجاز عند العرب:

من المعلوم أن البلاغة العربية لا تقتصر على الزخرفة والتزيين والتنميق في الكلام، بل تهدف بدورها إلى الإقناع، أيضاً، ذلك أن غايتها حاجية بالدرجة الأولى. ونجد أبا هلال العسكري في تعريفه للبلاغة يقول: " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"9. ولعل لفظة الإبلاغ دلالة على وظيفة البلاغة الحاجية.

ويعد البيان من أهم الآليات التي تستعملها البلاغة، حيث يعتبر ابن الأثير: أن " موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحب علم البيان، ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن"10 ولا يقتصر الأمر على ذلك، فحسب، بل يحقق البيان غاية إفهامية، حيث وضعه الجاحظ في منزلة الكشف والإيضاح، معتبراً بأنه: " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهناك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هي الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"11. وبالتالي يعد البيان وسيلة لفك غموض المعاني، والكشف عن المعنى، مما يتيح للمتلقى استيعاب فكرة المرسل والاستجابة له، محققاً الوظيفة الإفهامية، وصولاً إلى الإقناع، وذلك دليل على الوظيفة الحاجية للصورة البيانية والبلاغية بشكل عام.

أما الهدف من البيان عند السكاكي فيرتبط بتحصيل المطلوب، مما يعني خدمته لمقصدية المتكلم ضمن سياق تخاطبي معين، فالبيان يبني بالدليل، وليس بالتحسين الأسلوبي، ومعرفة كيفية نظم الدليل"12.

6 الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، تح: يوسف الصميلي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، ص251.

7 الجرجاني، عبد القاهر (1991): أسرار البلاغة، تح: محمد عبد خفاجي، ج1، عيد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ص408.

8 السكاكي (1983): مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ص395.

9 العسكري، أبو هلال، الصناعتين: تح: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص10.

10 ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين (1939): تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مطبعة مصطفى البابلي، مصر، ص7.

11 الجاحظ، البيان والتبيين، تح: محمد هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، ص76.

12 السكاكي، أبو يعقوب: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص435.

والإشارة إلى البعد الحجاجي لم يتطرق إليه البلاغيون العرب القدامى فحسب، بل نجده لدى المحدثين منهم، حيث اعتبر طه عبد الرحمن بأن "البيان ليس تنميكا للكلام، ولا تحريفاً لوظيفة الخطاب، وإنما تحقيق لأقصى إمكانات التبليغ"¹³. الذي من شأنه أن يساهم في إحداث تكامل بين المرسل والمتلقي، محققاً نجاح العملية التواصلية بين الطرفين. ذلك أنه "لا وجود للحجاج بغير مجاز"¹⁴، معتبراً أن "العلاقة الاستعارية هي أدل ضرور المجاز على ماهية الحجاج"¹⁵. فضلاً عن ذلك، أكد عبد السلام عشير، بأن "المجاز يؤدي إلى الافتراض، والافتراض يؤول إلى الجدل والنقاش، وإلى التعارض الخصب الذي يترجمه الحجاج"¹⁶. وبهذا فإننا نجد أن المجاز هو أساس الحجاج، وهو ذو وظائف متعددة، سواء من ناحية إقناع القارئ أو من ناحية تعبير المتكلم عن أحاسيسه ومشاعره، أو من ناحية تزيين الخطاب بالصور المؤثرة.

وبالتالي يعد المجاز مركز الحجاج وأهم آلياته البلاغية، نظراً لما يحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ، مما يدل على أن للصور البيانية دور كبير في التأثير على المتلقي، وتوجيهه نحو الوجهة التي يريدها المتكلم، حيث يلجأ إلى استعمالها كل خطيب في أي مجال كان موضوعه.

كما أشار محمد العمري في حديثه عن حجاجية الصور البيانية، بأن: "الصورة تقوم مقام الحجة وتعوضها تبعاً لحال المخاطب"¹⁷، ذلك أن الصورة تعبر عن حال المخاطب وعن أحاسيسه ومعانيه التي يريد إيصالها إلى المتلقي، حيث إن للصورة البيانية وظيفة إخبارية، ومعرفية تعليمية (حال الحياد) تظهر الأمر على وجه الإخبار قصد الفهم. فضلاً عن الوظيفة التأثيرية بتقديم الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار¹⁸. وذلك يدل على أن الصورة لا تقتصر على تزيين الخطاب، بل تسعى لتحقيق قوة التأثير خلال العملية التواصلية، من خلال "ترك أثر في نفوس القارئ والسامعين، ودفع القارئ أو السامع إلى الإيمان بما آمن به البليغ فكرة أو رأياً أو عقيدة"¹⁹.

وتتجلى حجاجية البلاغة في كونها ترتبط بالمحتمل والخلافي في المجال الإنساني، وبالقيم الأخلاقية والاجتماعية، وبتصورات الناس ومواقفهم وتناقضاتهم ومواقفهم المشتركة²⁰.

2. حجاجية المجاز عند الغرب:

أكد بيرلمان وتتيكا فاعلية الصور البلاغية ودورها الحجاجي، باعتبارها ليست مجرد زخارف أو تنميقات وتزيين للخطاب، بل تتجاوز ذلك إلى التأثير في المواقف وتغييرها²¹. كما اتفق ميشيل مايار مع أستاذه بيرلمان، من خلال نظرية المساءلة حول أهمية الصور البلاغية في الحجاج، مبرزاً الدور الفعال الذي تلعبه البلاغة في الحجاج، وخاصة المجاز، معتبراً كل بلاغة حجاجاً، حيث تساهم البلاغة إلى جانب الحجاج، في تضيق شقة الخلاف بين المحاورين والمتخاطبين أو إلغائها"²².

وتعدّ الصور المجازية بالنسبة لمييار مكوّناً أساسياً في إقناع المتلقي، حيث تعمل على تقريب المسافة بينه، وبين المتكلم، والاتفاق مع هذا الأخير، حول وجهة نظره؛ معتبراً بأن دور المجاز الحجاجي، يتجلى في كونه ينشئ المعنى، ويصدم كل من لا يشارك المتكلم، وجهة نظره. وهو بذلك وسيلة التعبير عن

13 عبد الرحمان، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص293.

14 نفسه، ص232.

15 نفسه، ص233.

16 عشير عبد السلام (2006): عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ص209.

17 العمري، محمد (1986): في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، ص101.

18 العمري (1999): البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، ص212-213.

19 خفاجي، محمد عبد المنعم، شرف الدين، عبد العزيز: نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة، ص139.

20 عادل، عبد اللطيف (2013): بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، ص107.

21 نفسه، ص92.

22 الطلبة، سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ص136. (بتصرف).

الأهواء والانفعالات، والأحاسيس التي تمثل صوراً من الإنسان، مثلما يمثل المجاز صورة من الأسلوب"²³.

ولعل حاجية المجاز تتجلى في قدرته على استمالة المتلقي عاطفياً، وتحفيز ذهنه على تذوق هذا الفن اللغوي، وبالتالي إمتاعه، حيث إن " أهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي، ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يرد لها"²⁴.

واعتبر مايبير بأن حاجية المجاز تتجلى في كونه يبعد الجواب الصريح، ويخلط مسارات المعنى، مما يتوجب معه البحث عن إمكانات أخرى وراء ظاهر السؤال. فمع الضمني، يتوسع التأويل. وتتعدد الأسئلة والأجوبة. وكلما توسع التأويل قوي الحجاج. فعبارة ريتشارد أسد التي يعتمد عليها مايبير لتوضيح اشتغال المجاز في الحجاج لا تفيد الحقيقة في ظاهرها. ولذلك تولد أسئلة عديدة لدى المخاطب حول مقصدية المتكلم، وأسباب الربط بين ريتشارد والأسد، ليتدخل التأويل. والتأويل استدلال، وفي ذلك يقول مايبير " أن تؤول يعني أن تستدل"²⁵.

ذلك أن الصورة المجازية تحمل بين طياتها مفهوم الانتقال، الذي يسمح بالتعبير عن المعنى بصيغة كلامية قريبة من الصيغة الكلامية الحقيقية، مع ضرورة توفر قرائن لغوية أو سياقية تعين السامع على فهم المنطوق الجديد فهما صحيحاً، وعملية الانتقال هذه هي في الأصل عملية عقلية استدلالية، تسمح بخروج الكلام من صورته النظرية الشكلية إلى صورة الحدث المنجز، وهو ما يجعل المجاز معطى مدركاً بالحس والعقل، شأنه في ذلك شأن علوم البلاغة ككل، لكونها تهتم "بالكلام الذي يرسل إرسالاً، فتطلب منه الإفادة والإصابة وإفهام المعنى، على وجه بديع وتركيب لطيف"²⁶.

وبالتالي، يتبين لنا أن المجاز هو عملية تأويلية، تعتمد أساساً على الاستدلال الذي يسعى من خلاله المتلقي إلى معرفة المقاصد التي يرمي إليها المتكلم. وذلك من خلال كثرة التمهيص في مفردات اللغة ذاتها، وقد دخلت في نسيج النص، فيبحث هذا الأخير في دلالاتها، والصورة العميقة لمعناها، اعتماداً على منهج تحليلي قوامه القياس، واستناداً إلى قرائن تستشف من السياق، حتى ينتهي إلى المقصود من الكلام، فتظهر الفكرة في صورة جلية قد تكون في الكثير من الأحيان، أشد وقفاً في نفس السامع من الكلام الحقيقي.²⁷

انطلاقاً مما سبق، يتجلى لنا بشكل واضح أهمية توظيف المجاز بكل أشكاله في عملية بناء الخطاب الحجاجي، باعتباره خطاباً بلاغياً، يهدف بالأساس إلى التأثير العقلي، والإغراء العاطفي، وهو ما يبرر دعوة ميشال مايبير إلى ضرورة تجاوز النظرة السطحية، للخطاب الحجاجي، على أنه خطاب تقريرية، دعامة التندليل والبرهان إلى استغلال وظيفة المساءلة. ليتضح أن حاجية المجاز والصور البلاغية، تظهر من خلال ما تتوفر عليه من طاقة جمالية للقول، التي تمكن من إثارة المتلقي، وتحريك مكامن الإعجاب فيه.

ثانياً: حاجية المجاز في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

تعد رسالة الغفران من الرسائل المثقلة بالأفكار الاجتماعية واللغوية والإنسانية، والوجود حول مسألة ما بعد الشهادة، وما دام الأمر يتعلّق بأمر غير مرئي لا ينفى وجوده، لأن أبا العلاء المعري نحى

²³ Michel, meyer : questions de rhétorique, paris, p 98.

²⁴ الدريدي، سامية (2008): الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص 120.

²⁵ عادل، عبد اللطيف (2013): بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، ص108.

²⁶ بلعيد، صالح (1993): التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص41.

²⁷ جوابلية، نوال (2021): حاجية المجاز وفق نظرية المساءلة لميشال مايبير، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج 04، ع 04، ص622.

بها منحى غريباً، ذلك أن الرسالة لا تعتمد على الإفصاح المباشر، الشيء الذي يتيح معه إمكانات هائلة تأويلية. وبخاصة من خلال وجود جملة من الصور البلاغية، منها صورة المجاز إلى جانب صور أخرى تدعمه، وتزيد من البعد التأويلي في هذه الرسالة، مما يمنحها قدرة وطاقة على الاستدلال، الشيء الذي يمنح الرسالة البعد الحجاجي والإقناعي، حول ما يروم أبو العلاء المعري إيصاله إلى المتلقي، وإقناعه بأفكاره التي تم تمريرها بطريقة ضمنية غير مصرح بها.

وقد جاء سياق رسالة الغفران في مراسلة الكثيرين لأبي العلاء المعري، " مستفسرين عن خصائص فكره، وقد كان من بين هؤلاء المحدث منصور الحلبي المعروف بابن القارح الذي وجه إليه من حلب رسالة، يستوضحه فيها عن بعض المسائل الفقهية، وبدلاً من أن يجيبه برسالة عادية جعله يصعد إلى السماء، ويرى بنفسه كيف جرت وتجرى الأحكام الإلهية، ويسأل ابن القارح المخلد في الجنة بما غفر لكم؟ والمخلدين في النار بما لم يغفر لكم وماذا جنيتم؟" ²⁸.

وتصنيفه للرسالة يقوم على المعتقد الإنساني القائل بأن منشأ وأصل العالم الظلمة والنور، فهي بهذه الصورة، رمى لصاحبها بالزندقة، غرضها بطلان الشريعة، والاستهتار بأمور الغيب، بدسها في صورة أدبية خفية، تبطن أكثر مما تصرح ²⁹. وعلى الرغم من علم المعري بعدوانية وخبث وغيظ ابن القارح، إلا أنه أراد أن يومئ له كون الزنادقة الذين يراهم يتلاعبون بالدين، قد يكونون أكثر منه تسامحاً، وأوسع قلباً وصدراً، وديانتهم القليلة قد تفيد على كثرة ديانتهم المخبوءة بالتلون الفجائي المقبح ³⁰.

وبالنظر في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري يتبين لنا براعة مؤلفها، لكونها تتضمن العديد من الخصائص الفنية والأسلوبية، سواء منها ما تعلق بالجانب اللغوي، أو الجانب التخيلي، أو النفسي، أو الفكري.

وبالتوقف عند الصور البلاغية نجد الرسالة قد حفلت بكثير منها، مضمية بذلك على النص بعده الجمالي والحجاجي، وسنقف عند صورة المجاز، من خلال إبراز وظيفتها الحجاجية في هذه الرسالة.

يدخل المجاز ضمن العنصر التخيلي الذي أصبح أكثر كثافة، خلال الحوار مع الشعراء، ذلك أن أبا العلاء المعري وظف الحوار لاستعراض الشعر، ونقده، وإبداء الرأي فيه، وفي مسائله اللغوية، والعروضية، وبيان مواقفه الجدية فيما يطرحه من قضايا، فجاءت المشاهد وكأنها من الحياة الدنيا. ويتجلى حضور المجاز باكتساء الحيوانات لبعض المظاهر الإنسانية، كالنطق والدفاع عن النفس.

■ حجاجية المجاز عن طريق الاستعارة:

اعتبر أسامة بن المنقذ أن المجاز يرتبط باستعارة الشيء المحسوس للشيء المعقول، حيث يفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة ³¹. ومن هذا القول نرى بأن أسامة بن منقذ يجعل المجاز ضرباً من الاستعارة، بإبدال قد يحصل به اختصار وإيجاز، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له، والأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس، لأن الاستعارة من حيث التركيب المنطقي، هي نوع من القياس، إلا أنه قياس مختزل، وبعبارة أدق قياس إضماري، أي قياس حذف مقدمته، واكتفى فيه بالنتيجة ³².

ومن خلال تتبعنا لنماذج نلمس الحجج التي وظفها بأسلوبه المجازي عن طريق الاستعارة في عدة مواضع نأخذ منها: "فيركب نجيباً من نجب الجنة خلق من ياقوت ودرّ في سجع بعد عن الحر والقر

²⁸ تيجال، نادية (2003-2004): أدب التمرد عن أبي حيان التوحيدي وأبي العلاء المعري، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ص12.

²⁹ نجيب، حساني شريف (2011-2012): رسالة الغفران للمعري، قراءة تأويلية، إشراف: أحمد بن لخضر فورار، جامعة

محمد خيضر بسكرة، ص90

³⁰ نفسه، ص80.

³¹ بثيني، حميد آدم (2008): البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج، ط1، عمان، ص159.

³² شوقي، المصطفى (2005): المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، ص27.

زمره إناء فيجمع"33. حيث يصوّر لنا النجيب وقد خلق من ياقوت، من باب المجاز اللغوي، مستعيراً صفة الياقوت، وجعلها صفة من صفة النجيب، وفي ذلك تضمين، لمعنى الغفران، وتأويل ما حصل عليه الشعراء، الذين حصلوا على الجنة. ذلك أن تأويل الخطابات الحجاجية لا يتعلق فقط بالمعطيات الظاهرة على سطح النص، بل يرتبط أيضاً بالحجاج الضمني الذي يشكل أهم ما فيه.34

ومن أمثلة الاستعارات الواردة في رسالة الغفران نجد ما يلي:

- "ويمرّ رفّ من إوز الجنة، فلا يلبث أن ينزل على تلك الرّوضة ويقف وقوف منتظر لأمر - ومن شأت طير الجنة أن يتكلّم فيقول: ما شأنك؟"35.
- "وأنا الآن في تفضّل الله، أعترف في مرافد العسجد من أنهار اللّين"36.
- "ويعارض تلك المدامة أنهار من غسل، مصفّى ما كسبته النحل الغادية إلى الأنوار".
- " ولا لبس ثوب المحموم"37.

ومن خلال الاستعارة نلمس الطاقة التخيلية التي حفلت بها الرسالة، وإبداع المعري يتجلى بين ثنايا رسالته، من خلال قدرته على ابتداع أفكارا جديدة، أتاحت له أنواعا من الاختراع والانشاء والتوليد. حيث صار الإوز يتكلم، وجعل الأنهار مليئة بالعلس واللبن، وأسند الثوب للمحموم. ولم يقف أبو العلاء المعري عند ذلك، بل صار العوران الخمسة، كما قال البطل لا يوجد أحسن منهم عيوننا في الجنة، وهذه توفيقه السوداء، قد صارت أنصع من الكافور، بعد أن كانت سوداء، كما أورد عناصر جديدة كالرحى من الدر والقصور من ونية، والكتبان من عنبر، وخلايا النحل من الجواهر، والخون من الزمرد، والكؤوس من العسجد.38

وبالتالي فأبو العلاء المعري يروم خلق واقع جديد، يخدم مسار رسالته، والأفكار التي يدافع عنها، مما يؤثر في عمليته الحجاجية متجها إلى " تسمية واقع جديد غير مسمى، وإلى دعم القصد الحجاجي، وإلى التعبير التصويري الذي يتخطى العبارة المجردة والعارية، وحيث يراد لهذه الأشياء أن تكون منكشفة أمام العيون المشاهدة، وحيث يقصد إلى جعل وصف الشيء مادة للاستمتاع الجمالي، يغدو تجاوز الكلمات الشائعة والمناسبة واللجوء إلى الاستعارة أمرا ضروريا.39" ومن اللافت أن أبا العلاء المعري يكتف معانيه الحجاجية من خلال الصورة الشعرية، فهو "يستعمل بشكل واع لغة استعارية لخلق أطر جديدة للرؤية أو الإدراك، وينمي تبعا لذلك قدرته على الإدراك والفهم. إنه يخلق عالما جديدا".40

■ حجاجية المجاز عن طريق التمثيل:

إذا كانت الاستعارة إبدالا قد يحصل به اختصار وإيجاز، وذلك بوضع المستعار مكان المستعار له (فإن التمثيل يدور في نطاق من المقارنة، والمقاييس، والمشابهة من غير إبدال أو إنابة، بحيث يؤتى في التمثيل بالطرفين معا: الممثل والممثل به، مع ذكر أداة التشبيه.41

يعد التشبيه التمثيلي من الأساليب البلاغية ذات الاستعمال المجازي، ونجده في مواضع عدة ومتنوعة في رسالة الغفران منها:

33 المعري، أبو العلاء: رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط9، القاهرة، مصر، ص 175.

34 Traité de L'argumentation, p : 167.

35 المعري، أبو العلاء: رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمن، ص212.

36 نفسه، ص240.

37 نفسه، ص153.

38 أنظر: المعري، أبو العلاء: رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط9، القاهرة، مصر.

39 الولي، محمد (2012)، حول الاستعارة عند أرسطو مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع1، ص39.

40 R. Brown(1989): Clefs pour une poetique de la sociologie, ed. Actes sud, p :132.

41 شوقي المصطفى (2005): المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، ص30.

- " إن كان عجب لأباريق كإوز الطّف"42.
 - "فبيدئ بزهر فيجده شابا كالزهرة الجنيّة، قد وهب له قصر من ونيّة، كأنه ما لبس جلباب هرم، ولا تأفّف من البرم. وكأنّه ما لبس جلباب هرم، ولا تأفّف من البرم"43.
 - "وفي تلك الأنهار أوان على هيئة الطير السابحة، والغانية من الماء السائحة، فمنها ما هو على صور الكراكي، وأخر تشاكل المكاكي، وعلى خلق طواويس وبط، بعض في الجارية وبعض في الشط، ينبع من أفواها شراب، كأنه من الرقّة سراب"44.
- ويتجلى التمثيل في تشبيه الأباريق بإوز الطّف، وفي الشّاعر زهير الذي وجده ابن القارح شابا كالزهرة الجنيّة، والأوان التي على هيئة الطير، ومنها ما هو على صورة الطواويس، فهذا التركيب يعمق الرغبة في الحصول على الكمال الإنساني من جهة، ويبين قبح صورة ابن القارح التي لم تتغير.
- وعموما فالوسائل البلاغية التي تحمل المجاز عن طريق التمثيل والاستعارة، تواجدت في صور مختلفة وبكثرة في عدة مواضع. كما أكثر أبو العلاء المعري من استعمال عدة شواهد مأخوذة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، التي جاءت بمثابة حجج داعمة.

خاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى النتائج التالية:

- ارتباط الحجج بدعم المتكلم لخطابه، وبالحجج لأفئاع المتلقي، من خلال توسله بعدة صور استدلالية، منها الصور البلاغية.
- دلالة المجاز على اللفظ الذي يستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، مما يفتح مجالاً للتأويل، ويحمل المتلقي على محاولة فهم المعنى الذي يرجو الخطاب إيصاله إلى الآخر.
- تكمن وظيفة المجاز في كونه يضيف جمالا على التعبير، ويزيد في مقدرته التأثيرية، وطاقته الحجاجية.
- الجمع في البلاغة العربية بين البعد الجمالي، والبعد الإفهامي والتبليغي الحجاجي.
- يعد المجاز من الوسائل الاستدلالية التي يعتمد عليها المتكلم في خطابه.
- يعتبر كل من بيرلمان وتتيكا من الذين اهتموا بحجاجية الصور البلاغية، ودعمهم في ذلك ما يبرر من خلال نظرية المساءلة، الذي يدافع فيها عن البعد الانتقالي والتأويلي الذي يحمله المجاز، باعتباره حجاجا.
- تعد رسالة الغفران من نصوص التراث النثري الفني التي وظف فيها أبو العلاء المعري طاقة لغوية مجازية، تظهر من خلال صور الاستعارة والتمثيل على سبيل المثال.
- مساهمة البعد الضمني في رسالة الغفران في الكشف عن خبايا أفكار أبي العلاء المعري، من خلال المزوجة بين البعد الجمالي من جهة، والبعد الحجاجي من جهة أخرى.

قائمة المراجع:

1. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، (1939): تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، مطبعة مصطفى البابلي، مصر، 1939م.
2. ابن منظور (1990): لسان العرب، دار صادر، ط1، مج 2.
3. بثنيني، حميد آدم حميد آدم (2008): البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج، ط1، عمان.
4. بلعيد، صالح (1993): التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

42 المعري، أبو العلاء: رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمن، ص147.

43 نفسه، ص182.

44 نفسه، ص149.

5. بن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسين (1987): جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
6. الجاحظ: البيان والتبيين، تح: محمد هارون، ج1، دار الجيل، بيروت.
7. الجرجاني، عبد القاهر (1991): أسرار البلاغة، تح: محمد عبد خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، ج1، بيروت.
8. الحموي، ياقوت (1991): معجم الأديباء وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
9. خفاجي، محمد عبد المنعم، شرف الدين، عبد العزيز: نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، القاهرة.
10. الدريدي، سامية (2008): الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، عالم الكتب الحديث، الأردن.
11. السكاكي (1983): مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.
12. شوقي، مصطفى (2005)، المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1.
13. الطلبة، سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
14. عادل، عبد اللطيف (2013)، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1.
15. عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
16. العسكري، أبو هلال: الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، منشورات المكتبة العصرية ببيروت.
17. عشير، عبد السلام (2006): عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب.
18. العمري، محمد (1999): البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق.
19. العمري، محمد (1986)، في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية "الخطابة في القرن الأول نموذجاً"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء.
20. المعري، أبو العلاء: رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط9، القاهرة، مصر.
21. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت.

المجلات:

1. جرابلس، نوال (2021): حجاجية المجاز وفق نظرية المساءلة لميشال ماير، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج 04، ع 04.
2. الولي، محمد (2012)، حول الاستعارة عند أرسطو، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع1.

الرسائل الجامعية:

1. تبحال، نادية (2003-2004)، أدب التمرد عن أبي حيان التوحيدي وأبي العلاء المعري، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر.
2. نجيب، حساني شريف (حس 2011-2012): رسالة الغفران للمعري قراءة تأويلية، إشراف: أحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر بسكرة.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Chaim, Perlman et Lucie, Olbrecht Tyteca(1988): Traité de l'argumentation, ed de l'université de Bruxelles, 5^{ème} ed, imprimé en Belgique.
2. Michel, meyer: questions de rhétorique, paris.
3. R. Brown(1989) : Clefs pour une poetique de la sociologie, ed. Actes sud.